بمثل هذا الجيش الهائل الذي لا يعد ولا يحصى والذي يتألف نصفه من الشرقيين مشى ايفان الى ليتوانيا وكأنه أحد الخانات الكبار . ولم يكن سيجسموند يتخيل أن بامكان ايفان ان يحشد هذا العدد الكبير من الجنود والواقع أنه لم يصدق ذلك . فأصدر امره لقريبه رادزيويل بأن يتقدم مع اربعين الفا من الرجال حشدوا في منسك ، ولكن رادزيويل اصابه الخوف عندما أصبح وجها لوجه أمام هذه (القبيلة) الروسية الزاحفة . وفر الليتوانيون وقد اخذ منهم الذعر والفزع كل مأخذ افواجا افواجا أمام القيصر الذي بلغ في الحادي والثلاثين من كانون الثاني يناير ١٥٦٣ أسوار مدينة بولوتسك التجارية الكبيرة ، وفي السابع من شباط فبراير كانت قد سقطت دفاعاتها الخارجية بعد الهجوم عليها ، وفي الخامس عشر سقطت المدينة كلها واضاف ايفان الى اسمه لقبا جديدا هو غراندوق ليتوانيا .

ولم يكن الليتوانيون قد دافعوا عن مدينتهم الا قليلا . لذلك لم يكن غضب الروس من الشدة بحيث يعملون السيف في رؤوسهم بل اكتفوا بنهب المدينة كما فعلوا من قبل في قازان. وكانت الغنائم كبيرة إذ استولى القيصر على الخزينة وعلى كل ما كان يملكه الاغنياء من المواطنين . واتخذت كميات كبيرة من الذهب والفضة طريقها الى موسكو . وكان من سكان المدينة عدد كبير من اليهود الذين سببوا للمغيرين من الصعوبات اكثر مما سببه تجار التتر عند فتح قازان . وقد قام القيصر بتعميدهم بالقوة ومن قاوم منهم اغرق في النهر . ومحيت الكنائس اللاتينية من الجذور ثم كرست من جديد ووضعت فيها مخلفات ارثوذكسية . وقام التتر بقتل اعداد من الرهبان العائدين للكنيسة الكاثوليكية الرومانية .

وأرسل القيصر ابن حميه ميشيل بيمغريوك الذي اعتنق المسيحية بدون شك في الوقت نفسه الذي عمدت فيه أخته،أرسله القيصر برسالة شخصية الى القيصرة ينبئها فيها بالنصر الجديد وارسل معه الى المتروبوليت صليبا مرصعا بالألماس . كان إيڤان راضياً عن نفسه . فما فعله في قازان عام ١٥٥٢ اعاده بعد أحد عشر عاما في بولوتسك . ولا